

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. بدأت سورة الكهف بمفتتحها بحمد الله عز وجل الذي أنزل القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم، عادلاً في كل ما جاء به من الشريعة والأحكام، قال ابن كثير في تفسيره: بَلْ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، بَيِّنًا وَاضِحًا جَلِيًّا نَذِيرًا لِلْكَافِرِينَ وَبَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ؛ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ أَي: وَإِنَّا لَمُصَيِّرُوهَا بَعْدَ الزَّيْنَةِ إِلَى الْخَرَابِ وَالْدَّمَارِ، والاختبار والابتلاء من سنن الله عز وجل في هذه الحياة الدنيا وقد جعله الله عز وجل لكل المكلفين من الإنس والجن، بما وهبه الله عز وجل لهم من العقل الذي هو مناط التكليف، فلا اختبار ولا ابتلاء لمن نقصت أهليته أو فقدت بسبب طراً عليها كالجنون والصغر والنوم، إذ شرط التكليف وجود العقل فإذا أخذ الله ما وهب أسقط ما أوجب. وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وتدرج في خصائص سوره وآياته من بداية نزول الوحي حتى انقطاعه بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم. لقد علم الله عز وجل أن الناس عاشوا فترات طويلة في الجاهلية وعبادة الأصنام وأراد أن يتدرج في تربيتهم التربية الإيمانية فكانت الآيات المكية تركّز الحديث عن التوحيد والإيمان بالله تعالى، وتثبت قلوبهم على الشهادتين؛ شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله وتأتي الآيات والصور المكية على قصص السابقين من الصالحين ومصيرهم والكافرين ومصيرهم ليتربى المؤمنون على معرفة مصير من اطاع الله عز وجل ومن عصاه وبالتالي تدرك عقولهم أهمية الثبات على الحق والإيمان. وتركّز على القيم الأخلاقية وبناء الإيمان والخلق الحسن في نفوس المؤمنين ليتحملوا الابتلاءات التي ابتلوا بها في بداية الإسلام والعذاب الذي كانت قريش تنزله بهم. ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كانت الآيات المدنية تنزل طويلة تخاطب إيمانهم بيا أيها الذين آمنوا وتنزل بالتشريعات والأحكام والعبادات من الصلاة والصيام والزكاة والحج، وتوضح لهم طرق التعامل والتجارة وبناء الأسرة وبناء الدولة والدفاع عن الإنجازات. وتوضح لهم كيفية التعامل مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى والأمم الأخرى وكذلك كيفية مواجهة خطر المنافقين. كل ذلك لبناء العقل المسلم المنفتح والواعي المتعلم ليكون أهلاً لتجاوز الاختبار والابتلاء في هذه الحياة الدنيا ويكون حالهم هو حال مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا.